بسم الله الرحمن الرحيم

محمد سعيد البادنجكي في ذمة الله

أيها الإخوة الكرام .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقد وددت أن أشارككم بالحضور لهذا الاجتماع، أداء لبعض حق سيد كريم وعالم جليل عرفته عن قرب، ولكن حالت ظروفٌ دون أن أكون معكم بشخصي، فلم أشأ أن تفوتَني مشاركتُكم بهذه الكلمات..

إنكم تجتمعون اليوم تذكرون رجلاً ترك بصماته في جنبات مسجدكم هذا، فله في كل زاوية منه نَفَس، وصوتٌ يتردد صداه بين حيطانه، قد عرفَه هذا المكانُ بأجمل ما يبقى للصالحين من بعدهم من طيب الأثر: القرآن والعلم والذكر ونفع الناس بالموعظة والنصيحة.

إنه العلامة الجليل، والأخ الكبير النبيل، والصاحب الصديق، أبو مصعب محمد سعيد البادنجكي، الذي بقيت طامعاً أن أزوره في حلب الشهباء، عافاها الله وسائر بلاد الشام، حيث كان يرجو ذلك مني، ولكن سبقت مشيئة الله أن يُحال بيني وبين لقياه منذ أن فارقنا في هذه البلاد حتى اختاره ربه إليه، فالعزاء بقاءُ الأمل أن نلقاك غداً يا أبا مصعب في جنات النعيم، مع الأحبة، محمدٍ وصحبِهِ.

عرفتُ الشيخَ الجليل منذ منتصف التسعينات من القرن الماضي، وبخاصة في المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، فكنا في جملة المؤسسين لهذا المجلس الموقر في ثلة من العلماء الكرام، وعلى رأسهم شيخنا القرضاوي، حفظه الله، وشيخُنا فيصل مولوي رحمه الله، وشيخُنا عبدالله بن بيه حفظه الله، وقد اختار المجلس عند إنشائه الشيخ محمد سعيد ليكون أميناً عاماً له، ومن خلال لقاءات هذا المجلس الذي كان ينعقد في العام مرتين كانت أكثر لقاءاتي بالشيخ الجليل، عَمِلْنا جميعاً، وخلونا في أحوال لمدارسة المسائل وصياغة الأفكار، يتخلل أعمالنا انسجام وألفة، فقد عرفتُ الشيخَ بطيب معشَرِه، ودَماثة خُلُقِه، وشِدَّة تواضُعِهِ، لقد كنت أشعل بالخجل منه كثيراً وفي مناسبات لا تنحصر وهو لا يخاطبني إلا بقوله: (شيخنا الشيخ عبدالله)، وهو الأحقُّ بهذا مني.

عرفتُه الشيخ محمد سعيد العالمَ المحققَ المدققَ، فلم يكن تخصصُه للدكتوراه في علم الحديث إلا تحصيلَ حاصل، فقد كان فوق هذه الدرجة بمراتب، لكنَّهُ كان يَطْلِي علمَه بتواضعه، فيرى نفسَه طالبَ علم مع أنه من أهل الفتوى، وباحثاً مع أنه من أهل التحقيق.

ومن تحقيقه وتدقيقه أنه كان يعتني بتمييز صحيح الحديث من سقيمه، ويجتهد في فقهه ودلالته، كما كان شديدَ العناية باللغة وضبط اللسان، متحرّياً أقصى الممكن له في البيان، فإذا تكلم في مقام العلم ومحضر العلماء سمعتَ حديثَه كالجُمانِ.

عرفتُه ثاقبَ النظر، عميق الفِكْر، تَرِدُه الحادثةُ والمسألةُ فيقرأُ خَفِيَّ وَجهِها، وينظرُ منها ما وراءَ لَفظِها، وما وجدته في ذلك إلا مُوفَّقاً.

دخلتُ بيته غير مرة، فرأيتُ من كرم ضيافته، وجميل طبعه، وطيب مَلْقاه، وحُسْنِ مُحيَّاه، ما يندر مثله في العادة.

هذه كلمات معدودة على عَجَل، لا تَفِي بحق هذا العالم الجليل، فقدره أكبر من ذلك، جدير أن تكتب سيرته وتُبْرزَ مناقبُه بما يليق بعلمه وطيِّب أثرِه.

تركَنا – رحمه الله – في هذه البلاد ورحل إلى الأردن أولاً كمرحلة في عودته إلى سوريا، ليهيئ نفسه ليستقر في حلب، وأخبرنا عن نيته أن يتفرغ للبحث والتأليف، فعاد إلى حلب، ومن ثَمَّ بقيت أخباره تصلنا على تَقطُّع، حتى فجَعَنا خبرُ وفاته.

لعلي هنا أذكِّر ولده الكريم مصعباً أن يعتنيَ بما ترك والده من كتابات وتآليف، ويعملَ على دفعها لجهاتٍ تنشرها، لينتفعَ الناس بها، وينفعَ الله والده بذلك.

رحمك الله أبا مصعب، وغفر لك، وأسكنك الفردوس، وجمعنا بك في مستقر رحمته غير مفتونين بعدك ولا مضيعين.

والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا به.

أخوكم: عبدالله بن يوسف الجديع ٢٠١٣/٥/٢٥